اللّسانيات التّوليدية التّحويلية وأثرها في الدّرس اللّساني العربي الحديث

دراسة لنتائج النّحو الكلّي

Effects of transformational Generative Grammar on Modern Arabic Linguistics A study of the results of the universal grammar

سعاد سليماني[1]*

[1] جامعة بلحاج بوشعيب (عين تموشنت)، souadslimani151@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-07-02 تاريخ القبول: 2022-08-10 تاريخ النشر:2022-12-27

مُلخّص البحث

يقوم هذا البحث على إبراز أثر اللّسانيات التّوليدية التّحويلية في الدّرس اللّساني العربي الحديث، والتّركيز بشكل خاصّ على مفهوم النّحو الكلّي وما ترتّب عنه من نتائج في دراسة اللّغة بصفة عامّة، كما ينبغي أن نُلْقِي نظرة خاطفة على مبادئ هذه النّظرية، وذكر ما يفيد البحث منها ويثريه، فاللّسانيات التوليدية التّحويلية، قد تناولها الباحثون بصورة كبيرة، وركّزوا فيها على شرح المبادئ التي تقوم عليها، وإسقاط طريقة تحليلها على اللّغة العربية، مستندين في ذلك على تحليل مكوّنات الجملة المبني على قواعد النّحو العربي، ويسعى البحث إلى الإجابة عن المشكلات اللّغوية الآتية: كيف يتمّ فهم اللّغة وتعلّمها؟ وكيف يمكننا تخزين المعلومات اللّغوية ثمّ استعادتها وقت الحاجة إليها؟، كالامتحان أو الإخبار بشيء تَعْلَمُهُ مسبقا، وكيف يمكن حوسبة القواعد اللّغوية العامّة للغات العالم؟ إنّ النتائج التي نود تحقيقها هي الوصول إلى حوسبة قواعد كل لغات العالم عن طريق الاستفادة من اللّسانيات المعرفية والعصبية والبيولوجية، وعلاقتها بكيفية عمل الذّهن البشري في اكتسابه للّغة وتخزينه وإنتاجه لها.

كلمات مفتاحية: النّحو الكلي، اللّسانيات التوليدية التّحويلية، الدّرس اللّساني العربي الحديث، النّحو العربي، الذّهن البشري.

Abstract:

The present study revolves around the effect of Transformational Generative linguistics on modern Arabic linguistics. Focus is mainly on the concept of universal grammar and its implications for the study of language in general. It is necessary to shed light on the principles of this theory, mentioning what benefits and enriches research. In fact, TGG has been extensively tackled in the literature, and many researchers focused on explaining its underlying principles and projecting its method of analysis on Arabic. In doing so, they built on the analysis of sentence components based on rules of Arabic grammar. The present research seeks to answer the following linguistic problems: How is language understood and learned? How can we store linguistic information and then call it back when needed?How can the general grammar rules of world languages be computerized? The intended outcome of the present work is to computerize grammar rules of the world languages through the use of

* المؤلف المرسل: سعاد سليماني

cognitive, neuro- and bio-linguistics, and their relationship with how the human mind acquires, stores and produces language.

Keywords: : Universal grammar; transformational Generative linguistics; Modern arabic linguistics; Arabic grammar; The human mind;.

1. مقدمة:

يُبْرِزُ البحث أثر اللّسانيات التّوليدية التّحويلية في الدّرس اللّساني العربي الحديث، والتّركيز بشكل خاصّ على مفهوم النّحو الكلّي وما ترتّب عنه من نتائج في دراسة اللّغة بصفة عامّة، كما ينبغي أن نُلْقِي نظرة خاطفة على مبادئ هذه النّظرية، وأن نذكر ما يفيد البحث منها ويثريه، فاللّسانيات التوليدية التّحويلية، قد تناولها الباحثون بصورة كبيرة، وركّزوا فيها على شرح المبادئ التي تقوم عليها، وإسقاط طريقة تحليلها على اللّغة العربية، وعليه، فكيف يتمّ فهم اللّغة وتعلّمها؟ وكيف يمكننا تخزين المعلومات اللّغوية ثمّ استعادتها وقت الحاجة إليها؟، وكيف يمكن حوسبة القواعد اللّغوية العامّة للغات العالم؟

ويسعى البحث بطبيعة الحال للإجابة عن هذه التساؤلات إلى حوسبة قواعد كلّ لغات العالم عن طريق الاستفادة من اللّسانيات المعرفية والعصبية والبيولوجية، وعلاقتها بكيفية عمل الذهن البشري في اكتسابه للّغة وتخزينه وإنتاجه لها.

ولعلّ طبيعة هذا العمل استلزمت إتّباع المنهج التّكاملي، لما فيه من أدوات إجرائية تطبيقية تلمّ بجوانب الموضوع المتعددّة، وذلك مثل الوصف والتّحليل والتّصنيف وتحديد الضّوابط الشّكلية والتّمثيل لها بالاعتماد على العلوم الأخرى.

2- المعالجة الرّياضية للّغة الطّبيعية:

لقد بلغت عدّة أبواب من علوم اللّغة منذ القدم أشواطا كبيرة من التّجريد، وذلك في المستوى الصّوتي والصّرفي والنّحوي، فلا غرابة إذن أن يهتم الرّياضيون بالدّراسة، ولا غرابة أن تنشأ مادّة جديدة عرفت بـ "اللّسانيات الرّياضية" التي تهتمّ أساسًا بالنّحو وطرق بناء نماذج لوصف اللّغة وتحديد السّلاسل الكلامية التي ينتجها النّاطقون لهذه اللّغة، فقد تناولت بعض المدارس اللّسانيات الرّياضية وأنشأت نماذج شكلية يكون الغرض منها تحديد السّلاسل المقبولة وبناها التي هي نظريًا غير منتهية ومع بروز الإعلام الآلي، فإنّ وضع الباحثين من لغويين وإعلاميين في حاجة إلى أدوات في ميداني: الذكاء الاصطناعي والترجمة الآلي، وبعد بضع سنوات من البحث في هذين الميدانين، تبيّن أن اللّغة لا تقبل التّرويض (mathématisation) بسهولة، وأنّ قضايا إخضاع أبواب منها إلى نماذج صورية عويصة جداً إذا لم تكن مستحيلة، ولكن هذه التّجربة في ترويض اللّغة

قابلتها تجربة معاكسة آتية من اعتبار السّيميائيين الرّياضيات كلغة أو كنظام تواصل خاصّ يمكن دراسته بواسطة الأدوات اللّغوي.[1]

من النّاحية التّعليمية، فإنّ قضية الاستفادة من الأدوات الرياضية في الممارسة اللّغوية مطروحة، فماهي تلك الأدوات التي يكون اللّغوي في حاجة لها لممارساته ممارسة أعمق وأفيد؟ في الرّياضيات مفاهيم مضبوطة مثل العلاقات والبنى التّركيبية مثل: الزّمرة، وهي مستعملة بصفة ضمنية من طرف اللّغويين[2]، فاللّسانيات الرّياضية تعدّ مثالا للّسانيات الجبرية، وتستخدم تحليلاتها الرّموز والصّياغة الرّياضية لأشكالها[3]، لأنّ اللّغة الطّبيعية تعالج رياضيا عن طريق استعمال المفاهيم الرّياضية (مثل نظرية المجموعات (la théorie des ensembles)) لحلّ المشكلات اللّغوية.

وتتمّ المعالجة المنطقية الرّياضية للّغة الطّبيعية في مستويين هما:

أ- المستوى السّطحي: نلاحظه مباشرة، ويتميّز بسمات خاصّة متعلّقة بلغة خاصّة، وهي سمات صرفية، وتركيبية، وغيرها.

ب- المستوى الوراثي: يضمّ جزءا منظّما في صورة شكلية سمّوها اللّغة الوراثية، ويهدف اللّسانيون التّوليديون، مثل الرّياضيّين، إلى الإقدام على استنباط جميع الثوابت المكوّنة للّغات الطّبيعية، وصياغتها على صورة مبادئ ووسائط، ويولد نحو، يدعى بالنّحو الكلّي، اللّغة الوراثية، ويحمل هذا المفهوم مدلولان هما:

أ- تحديد الثوابت وتأسيس تشكيلات كلية للمقولات النّحوية للّغات، في استقلال عن التّرميز الصّرفي والتّركيبي للغة خاصّة؛

ب- تحديد وظيفة الكلام وتخصيصها بطريقة مثلى بحيث تظهر في كلّ لغة طبيعية خاصّة.[4]

وتعدّ اللّغة الوراثية مشفّرة في كلّ لغة خاصّة من خلال إجراءات خاصّة.[5]

3-تطبيقات النّظرية التّوليدية التّحويلية على النّحو العربي:

لقد انشغل الباحثون اللّسانيون بشرح المبادئ التي تقوم عليها النّظرية التّوليدية التّحويلية، وإسقاط طريقة تحليلها على اللّغة العربية، مستندين في ذلك على تحليل مكوّنات الجملة المبني على قواعد النّحو العربي، فهم بصدد وصف اللّغة وتحليلها بطريقتين، الطّريقة الأولى تخصّ لغة بعينها، وهي تمثّل تقسيم الجملة وفقا لأقسام النّحو العربي، وما يتخلّله من تقسيم صرفي لمفردات الجملة ذاتها، أمّا الطريقة الثّانية فتخصّ كلّ اللّغات، وهي تمثّل تحليل الجملة وفقا للمشجّر الخاص بهذه النّظرية، وما يلحق هذا التّحليل من تغييرات جلبتها له عمليتا التّوليد والتّحويل وقواعده المتمثّلة في قانون التّوزيع وقواعد الحذف والزّيادة وإعادة التّرتيب.

3-1- نماذج التّحليل النّحوي:

تميّزت القواعد التّوليدية التّحويلية لصاحب النّظرية "تشومسكي" في كتابه الأوّل "البنى التّركيبية" بعرضه لثلاثة نماذج للتّحليل النّحوي، فقد قدّمها بطريقة رياضية مفصّلة، فالنّحو التّوليدي يقوم على القواعد، وتعدّ هذه القواعد جزءا من الجهاز الذي يولّد الجمل النّحوية في اللّغة، وتختلف عن القواعد الموجودة في النّحو الكلاسيكي والنّحو الوصفي، فهي ليست معيارية (normative) تُعنى بوصف اللّغة كما يجب أن تكون، وليست وصفية (descriptive) تصف اللّغة كما هي مستعملة بغية إرسال التّعميمات، لكنّها تشبه القواعد المعيارية لأنّها عبارة عن تعليمات لتوليد كلّ الجمل الممكنة في اللّغة، وليس الجمل الصّحيحة فحسب، هذا من جهة، وتشبه القواعد الوصفية لأنّها تعتمد على واقع اللّغات الفعلية وليس اللّغات المبتكرة من قبل النّحاة من جهة أخرى، إلاّ أنّها ترتكز على ما يقوله النّاس بالفعل، لا ما يجب أن يقولوه.[6]

لقد أطلق "تشومسكي" على قواعد النّحو التّوليدي اسم "قواعد إعادة الكتابة" بمعنى أنّها تكتب رمزا معيّنا مرّة ثانية بشكل آخر، أو تولّد من الرّمز الواحد عدّة رموز، وعادة ما تبدأ القواعد التوليدية بالرّمز: «ج» الذي يمثّل الجملة، وبعدها تُعيد سلسلة من القواعد كتابة هذا الرّمز، والرّموز المترتّبة عنه إلى رموز أخرى حتّى يتّم توليد الجملة بأكملها على هذا النّمط الرّياضي: أ ← ب+ج.[7] وسأعرض فيما يلي باختصار النّماذج الثّلاثة التي اتّبعها "تشومسكي" في كتابه "البنى التّركيبية" وهي على التّوالي: القواعد المحدودة الحالات، والقواعد المركّبة، والقواعد التّحويلية، وهذا لتوضيح أهمّ المراحل التي تبلور من خلالها مفهوم النّحو الكلّي:

3-1-1- النّموذج الأوّل: القواعد المحدودة الحالات:

وهو إجراء بسيط يسمح بتوليد اللّغة بطريقة آلية، فهو شبيه بآلة تمرّ بعدد من الحالات المتوالية، بدءا من الحالة الأوّلية (Cas initial) حتّى نصل إلى الحالة النّهائية (Cas final)، ويتمّ في هذا الانتقال التّدريجي توليد كلمة كلّ مرّة، وتوليد الكلمة الثّانية يكون مرتبطا بالأولى. ويطلق على سلسلة الكلمات المنتجة بهذه الطّريقة اسم الجملة، حيث كلّ لغة تنتج بهذه الطّريقة تسمّى لغة ذات حالات محدودة (Langage à état fini).[8]

يوضّح المخطّط الآتي هذه العملية[9]:

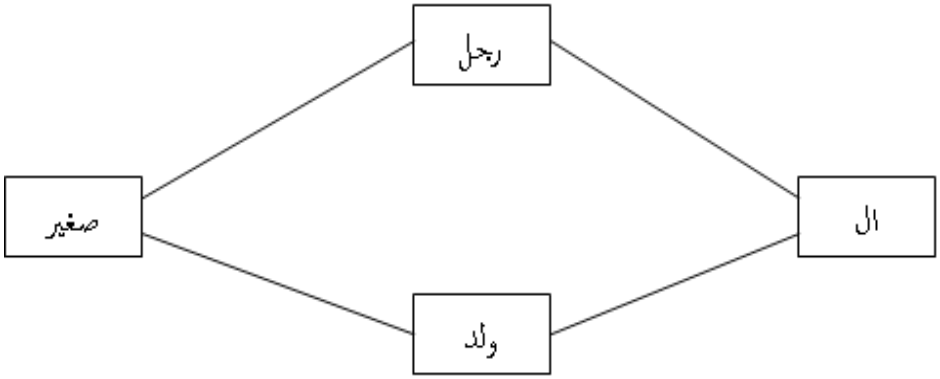

ننتقل من الحالة الأولى (أل)، ونمرّ إلى الحالة الثّانية، فنحصل على المورفيم الحرّ (رجل)؛ وبصفة تدريجية نصل إلى الحالة النّهائية التي يجسّدها المورفيم (صغير)، وتتولّد حينذاك الجملة في صورتها النهائية، وهي (الرّجلُ صغيرٌ،/ الولدُ صغيرٌ)، وإذا رُغِبَ في توسيع هذه البنية السّطحية أضيف لها عدد من الصّفات، مثل: (الرّجلُ صغيرٌ، كبيرٌ، جميلٌ...)؛ أو تلحق بها جملة الصّلة، مثل: (الرّجلُ الذي جاءَ صغيرٌ...)، لكن رغم أنّ هذا النّموذج قادر على توليد ما لا نهاية له من الجمل، فإنّه لا يستطيع توليد جملة (الرجلُ حائطٌ أو الحائطُ ذكيٌّ)، وهي جمل سليمة شكليا، ذلك لأنّها جارية على هذه الآلة (النّموذج) لكنّها مخالفة للدّلالة، لا تتوافق مع حدس أبناء اللّغة. ويظهر القصور في هذا النّموذج في حالة التّبعية، فيستطيع إنتاج جملة الرّجلُ ذكيٌّ، ويعجز أمام جملة (البنتُ ذكيّة) لكونه لا يراعي التّوافق الجنسي بين المورفيمات البنت/ الولد، وهذا ما هو موضّح في المخطّط الآتي:

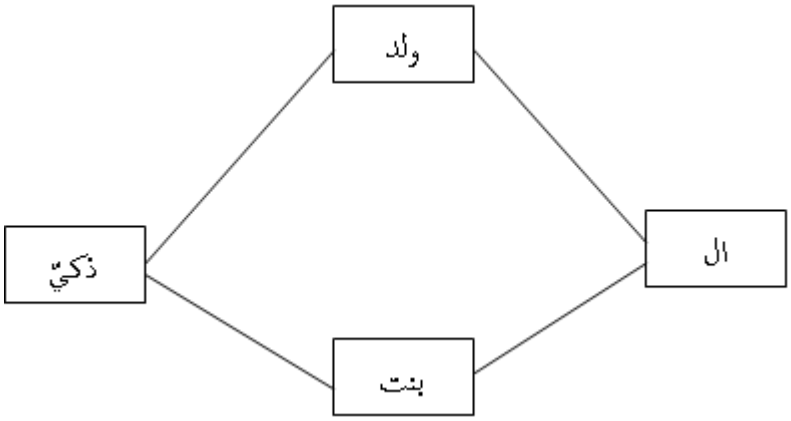

3-1-2- النّموذج الثّاني: القواعد المركّبة:

إنّ النّموذج الثّاني في تحليل اللّغة لـ"تشومسكي" هو القواعد المركّبة، حيث تستطيع هذه القواعد أن تولّد من الجمل ما لا تستطيع أن تولّده القواعد المحدودة الحالات، ولئن كانت هذه القواعد تشبه إلى حدّ بعيد طريقة التّحليل إلى المكوّنات المباشرة وطريقة الإعراب التّقليدية، غير أنّ "تشومسكي" أضفى عليها طابعا علميّا باستعمال قواعد توليدية مبنية على الرّياضيات والمنطق الرّمزي[10]. وفي هذا الصّدد يقول "جون ليوز"[11]: إنّ مفهوم

البنية المركّبية، يشبه مفهوم الأقواس في الرّياضيات أو المنطق الرّمزي، فإذا كانت لدينا هذه الصّيغة س+(ع×ص)، فإنّنا نعرف أنّ عملية الجمع لابدّ أن تسبق عملية الضّرب. وعلى خلاف ذلك، فإنّ س×ع +ص تعدّ مماثلة لـ: (س×ع)+ص، حيث تسبق عملية الضّرب. وهكذا فإنّ طريقة إجراء العمليات تؤدّي إلى نتائج مختلفة، فإذا كانت س=2، ع=3، ص= 5، فإنّ س×(ع+ص)= 16، ولكن (س×ع)+ص=11، وبالتّوازي فإنّ هناك كثيرا من التّراكيب اللّغوية التي يكتنفها الغموض كما هو الحال بالنّسبة لهذه الصّيغة: س×ع+ص، ولكن الفضل يعود إلى الرّياضيين الذين بيّنوا بأنّ الضّرب يسبق الجمع في غياب الأقواس، ومثال "تشومسكي" في هذه العبارة «old men and women» (النّساء والرّجال العجائز) التي يمكن فهمها « (old men) and women» أي (الرّجال العجائز) والنّساء أو «(old men and women) » أي (الرّجال والنّساء) العجائز".

ويكون شكل القواعد كالآتي[12]:

(1) الجملة ⟵ مركّب اسمي+ مركّب فعلي

(2) مركّب اسمي⟵ أداة تعريف +اسم

(3) مركّب فعلي فعل + مركّب اسمي

(4) أداة تعريف ⟵ال

(5) اسم ⟵ {رجل، كرة، ...}

(6) فعل ⟵ {قذف، أخذ، ...}

ولكي يتمّ توليد هذه الجملة (قذف الرّجل الكرة)، يستدعي هذا النّموذج استبدال كلّ رمز بمكوّن مباشر بطريقة تدريجية، حتّى نصل إلى البنية السّطحية للجملة، وذلك بإتباع الخطوات التّالية التي وضعها تشومسكي[13]:

الجملة:

مركّب اسمي + مركّب فعل

أداة تعريف +اسم + مركّب فعلي

أداة تعريف+ اسم+ فعل+مركّب اسمي

ال +رجل+فعل+مركّب اسمي

ال+رجل+قذف+ال+اسم

ال+رجل+قذف+ ال+ كرة

الرجل قذف الكرة.

وحسب "تشومسكي" يمكن تمثيل بنية هذه الجملة بوساطة هذا المشجّر[14]:

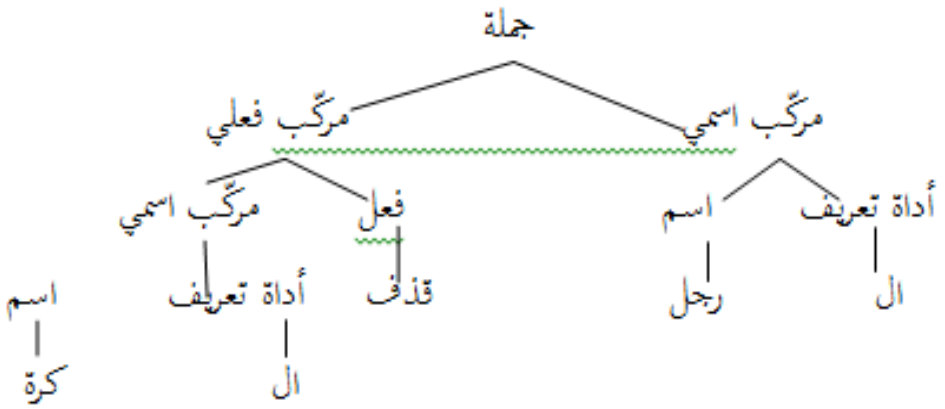

لا تعكس هذه القواعد المركّبية بدقّة حدس أبناء اللّغة فيما يخصّ الحكم على استقامة الجمل أو استحالتها، ومهما كانت القواعد أشدّ قوّة وأكثر ملائمة من القواعد المحدودة الحالات في نظر "تشومسكي"، فإنّها لا تستطيع أن تولّد كلّ التّراكيب اللّغوية الموجودة في اللّغة، كما أنّه قد اكتشف للمرّة الثّانية قصور النّموذج الثّاني، وبدأ يفكّر في تطويره ليستطيع توليد كلّ الجمل النّحوية أو المستقيمة التي تصدر عن المتكلّم المستمع المثالي، وهكذا جاء بالنّموذج الثّالث محدثا ثورة في اللّسانيات، ومكتسبا شهرة عالمية لا تضاهى، وأصبح بذلك عنوانا لنظريته اللّسانية[15].

3-1-3- النّموذج الثّالث: القواعد التّحويلية:

فضّل "تشومسكي" القواعد التّحويلية على القواعد المركّبية في كتابه "البنى التّركيبية"، وذلك لبساطتها، لكن في الحقيقة أنّ القواعد التّحويلية عددها كبير وتعقيدها شديد، إلاّ أنّها تقدّم أحيانا وصفا مبسّطا لبعض التّراكيب اللّغوية. أمّا في أعماله الأخيرة، فقد علّل تفضيله على أساس أنّ القواعد التّحويلية تعكس حدس أصحاب اللّغة أفضل من غيرها من القواعد، وتولّد عددا لا حصر له من الجمل، كما تولي اهتماما كبيرا بالمعنى أكثر ممّا توليه القواعد المركّبية، وتفكّ اللّبس التّركيبي التي استعصت على القواعد السّابقة[16].

تبنى القواعد التّحويلية على القواعد التّوليدية المركّبية المستخدمة في النّموذج الثّاني مع إضافة سلسلة من القواعد التّحويلية. وتسعى بالدّرجة الأولى إلى تحليل البنية العميقة، وكيف تتمخّض عنها البنية السّطحية التي نستعملها أثناء الكلام. ونأخذ مثال من اللّغة العربية لإمكانية توليد هذه الجملة: «يراجع التّلميذ الدّروس» باتّباع القواعد التّوليدية والتّحويلية التّالية:

(1) جملة ← مركّب اسمي +مركّب فعلي

(2) مركّب اسمي ← مفرد / مثنّى / جمع

(3)مركّب اسمي مفرد ← أداة + اسم

(4) مركّب اسمي مثنّى ← أداة + اسم +علامة المثنى

(5)مركّب اسمي جمع أداة +اسم + علامة جمع

(6)مركّب فعلي فعل + مركّب اسمي

(7) الأداة ال

(8) اسم تلميذ، درس

(9) فعل فعل مساعد + فعل

(10) فعل مساعد الزّمن + المساعد الصّيغي

(11) ف راجع

(12) الزمن
- الحاضر
- الماضي

(13أ) نفترض أنّ «ز» يرمز إلى زوائد المضارع والتّأنيث والمثنى والجمع، و«ف» إلى كلّ من الفعل، والمساعد الصّيغي، وأفعال الملكية والكينونة وعليه فإنّ ز+ف ف+ز.

(13 ب) استبدال +ب#، أدخل# في أوّل الجملة وآخرها.

(14)# فعل +ال+ تلميذ+ ال+ دروس#

(15)# ماضي+ فعل +ال+ تلميذ+ ال+ دروس#

(16)# ماضي+ ر ا ج ع +ال+ تلميذ+ ال+ دروس#

(17) # ر ا ج ع+ماضي +ال+ تلميذ+ ال+ دروس#

(18) # ر ا ج ع# ال+ تلميذ# ال+ دروس#

(19)# راجع# ال+ تلميذ# ال+ دروس#

(20) راجع التّلميذ الدّروس.[17]

يوضّح المشجّر التّالي هذه الجملة:

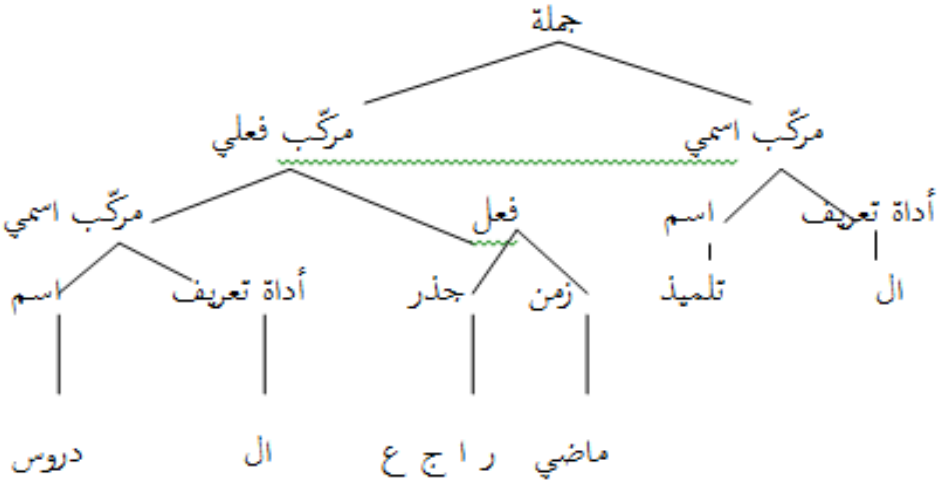

ما يلاحظ عموما على هذا النّموذج هو تميّزه بالاختيارات المختلفة التي يقدّمها لتوليد كلّ أنواع الجمل، كما يهتمّ بالأسماء في حالة الإفراد والمثنّى والجمع عن طريق القاعدة الثّانية، وتهتمّ أيضا بكلّ الأزمنة (الحاضر والماضي والمستقبل) والصّيغ (كالأمر والشّرط والإخبار) عن طريق القاعدة العاشرة والتّوضيحات الواردة في القاعدتين (11) و(12)، زيادة على هذا، فقد قدّم "تشومسكي" مجموعة من القواعد التّحويلية المطبّقة على اللّغة الانجليزية خاصّة، كما يمكن تطبيقها كما هي على اللّغة العربية[18].

وهذا بمثابة إعادة وصف لتقسيم الجملة وفقا للّنحو العربي، وتأكيدا لها بطرق تحليل لسانية غربية حديثة، ممّا يُشْعِرُنَا بصحّة النّظرية النّحوية العربية، لكن الّذي نسعى لتحقيقه من خلال هذا العمل هو إبراز أهمية النّحو الكلّي كمفهوم تعرّضت له هذه النّظرية التوليدية التّحويلية، ومدى تأثير نتائجه على اللّغة العربية بصفة خاصّة واللّغات الأخرى بصفة عامّة، وهذا ما يلامس الفطرة الطّبيعية التي ولد عليها الإنسان وهو مزوّد بإمكانية تعلّم أي لغة.

هذا المفهوم الذي يبحث عن الأسس المشتركة بين لغات العالم بغية إثراء النّحو الخاص بلغة معيّنة، ويسعى لوضع نظرية لسانية نموذجية عالمية تعكس الكفاءة اللّغوية لدى الأفراد، ممّا يعطي أهمية بالغة للّسانيات البيولوجية واللّسانيات المعرفية، ويفتح أفاقا أمام حوسبة اللّغات الطّبيعية.

لقد أكّد "جيمس باتي" "James Batie"على أنّ اللّغات تشبه النّاس من حيث إنّ لكلّ منها خصائص تميّزها عن الأخريات، ولهنّ على الأقلّ بعض الخصائص المشتركة، فتُشرَح هذه الخصائص عن طريق النّحو والقاموس، والأمور التي تكون مشتركة بين اللّغات أو تلك التي تكون ضرورية في أيّة لغة تعالج في إطار علم يسمّى النّحو العالمي[19].

يمثّل النّحو الكلّي (Grammaire universelle) المنحى الجديد الّذي أخذت تنحوه النّظرية التوليدية التّحويلية، إذ لم تعدّ تهتمّ بإبراز خواص اللّغات البشرية وأنظمتها، وكيفية توليد اللاّنهائي من النّهائي، بل أصبح هدفها –هاهنا– هو البحث عن الأسس المشتركة والعامّة بين اللّغات، من أجل إثراء النّحو الخاصّ وإكماله بكلّ لغة، لتصبح النّظرية اللّسانية نموذجية، تعكس الملكة اللّسانية الكاملة.[20]

بدايةً كان التّمركز الأوروبي واضحاً في التّركيز المفرط على دراسة اللّغة الإنجليزية إلى وقت قريب، والآن حصلت المئات من اللّغات المختلفة على الاهتمام، على الأقل من قبل تحليل "تشومسكي"

اللّغوي، وعلى الرّغم من تنوّع اللّغات التي تم دراستها من قبل اشتقاقات النّحو الكلّي، إلاّ أنّ النقّاد استمرّوا في الجدال حول أساس نظرية "تشومسكي" ذات التّوجّه الأنجلوساكسوني، ولن تفلح في تفسير كثير من خصائص اللّغات التي تختلف بطبيعتها عن اللّغة الإنجليزية، ولذلك انتقد نهج "تشومسكي" كشكل من أشكال الاستعمارية اللّغوية، إضافة لذلك تعتمد لسانيات "تشومسكي" بشكل كبير على فطرة المتحدّثين بلغتهم الأمّ بخصوص الجمل هي ذات التّركيب الجيد (الجمل الصّحيحة نحويا،(Les phrases grammaticales)، وهذه الممارسة انتُقدت على أساس منهجي عام، وعارضه بعض علماء النّفس وعلماء اللّسانيات النّفسية – رغم تعاطفهم مع برنامجه العام – بأن لسانياته تولي اهتماما للمعطيات التّجريبية لمعالجة اللّغة، رغم أن نتائج تلك النّظريات ليست مقنعة نفسيا، وتساءل نقّاد آخرون: ما إذا كان ضروريا أن نفترض وجود نحو كلّي لشرح اكتساب الأطفال للّغة بحجة أنّ آليات التعلّم العامّة كافية؟[21]فالآليات العامّة للنّحو الكلّي مهمّة لكن غير كافية،

وهناك اليوم فروع مختلفة عديدة للنّحو التّوليدي، فباستطاعة الفرد أن يرى الأُطر النّحوية مثل نظرية نحو الجملة المبني على الرأس، والنّحو الوظيفي المعجمي، والنّحو التّوفيقي التّصنيفي، ويعدّ بشكل عام تشومسكيا وتوليديا، لكن مع اختلافات كبيرة في التّنفيذ[22].

هذا النّقد يجعلنا نرى الأمور من زاوية أخرى، آلية النّحو الكلّي مهمّة، لكن علينا الاعتماد على جوانب أخرى، كأن نقوم بالدّراسة التّشريحية للذّهن، خاصّة المنطقة المسؤولة عن فهم اللّغة واكتسابها وإنتاجها، وهذا ما تقوم به اللّسانيات العصبية، ومهمّة القدرات الذّهنية في ذلك، من انتباه وتركيز وذاكرة.

نستطيع في تحليل عملية التّفكير أن نستند إلى علم النّفس فقد أَلهَمَت في الثّلاثينات اللّسانيات العرفانية بعض النّظريات النّفسية التي تنظر إلى السّلوك الإنساني وقدراته نظرة شاملة. ويمكن أيضا أن نرتكز على علوم الأعصاب[23] وعلى وصف تشريحي للدّماغ. سعت اللّسانيات العرفانية في هذه التّطوّرات الأخيرة إلى العمل بشكل وثيق مع اللّسانيات العصبية. يمكن أن نقوم بالعمل الأكثر تجريدًا، وهو الذي يتمّ تنفيذه في المنطق والذّكاء الاصطناعي.[24] (يعتمد على النّظم الخبيرة مثلا).

تفترض اللّسانيات المعرفية أنّ قدرتنا على إنتاج التّلفّظ[25] وتلقّيه يجب أوّلا اعتبارها بربطها مع قدرات أخرى، كالإدراك البصري أو التّحكّم[26]. نلاحظ أنّ بعض النّظريات اللّغوية تفترض مسبقا العمليات الذّهنية السّابقة لإنتاج التّلفّظ مثل نظرية "غوستاف غيوم"(Gustave Guillaume) والنّحو التّوليدي ل"نعوم تشومسكي" (Noam Chomsky).[27] بمعنى أنّ تعلّم اللّغة، إنشاء اللّغة وفهمها وكتابتها وقراءتها وإنتاجها، يتطلّب جوانب أخرى مساعدة، فهناك أجهزة بيولوجية للفرد تتدخّل في الاكتساب اللّغوي وإنتاجه، فالجهاز العصبي يتمّ فيه استقبال كلّ الإشارات الخاصّة باللّغة كما يتمّ فيه تنفيذ أمر لغوي عن طريق أجهزة أخرى، كالجهاز النّطقي والجهاز البصري والجهاز السّمعي.

لقد اعتنى "تشومسكي" بالنّحو التّقليدي والمنطق الرّمزي عناية كبيرة، فقد نجح في توجيه اللّسانيين الأمريكيين إلى دراسة الجانب اللّغوية الإبداعي، والأخذ بعين الاعتبار الاستعدادات القبلية التي تساعد الأطفال على اكتساب اللّغة في وقت قياسي دون جهد وعناء. ومؤلّفاته، مثل: "مظاهر النّظرية التّركيبية 1965"، و"اللّسانيات الدّيكارتية 1966م"، و"اللّغة والعقل 1968م" قد أكّدت أنّ اللّسانيات شعبة من علم النّفس المعرفي، وشدّدت على أهمية القواعد التّوليدية التّحويلية في دراسة بنية العقل البشري واستعداداته الفطرية[28].

وبهذا أصبحت النّظرية التّشومسكية ذات اتّجاه عالمي يسعى لوضع القاعدة العامّة وتفسيرها، المشتركة بين الأشخاص، والتي لا تتغيّر بتغيّرهم. وتكون اللّغات البشرية –رغم تنوّعاتها– خاضعة لقيوده وقوانينه.

وقد نتج عن النّحو الكلّي ما يلي:

1– التّأكيد على أنّ البنية العميقة عالمية وثابتة في كلّ اللّغات؛ ما دام المعنى الذي تحمله مشتركا بين جميع البشر؛

2– إنّ فكرة عالمية النّحو تعدّ مكوّنا أساسيا لنظرية التّعلّم البشري؛ مادامت ترى أنّ كلّ طفل يولد وهو مزوّد بقواعد عامّة، تساعده على فهم لغته الأمّ، وعلى إنتاج الجمل الجديدة دونما تقليد، وهذا ما أكّده "تشومسكي" في قوله:"إنّ الطّفل يولد مزوّدا بمعرفة تامّة بالنّحو الكلّي أو الكوني. وتعني بذلك أنّه مزوّد بمخطّط مثبت، يستخدمه لاكتساب اللّغة"، الموجودة فيه فطريا "فالقواعد والقوانين المسؤولة عن بناء الجمل وتراكيبها فطرية، ذهنية، كلية، عالمية، وهي التي تقوم بضبط الجمل وتوليدها."[29]

وبهذا أصبحت الدّراسات اللّسانية الحديثة تولي اهتماما كبيرا بالأسس البيولوجية والعصبية والعضوية المسؤولة عن إنتاج، أو فهم الكلام، وإن كانت نتائجها لا تزال غامضة ومعقّدة "إنّما من الصّعب علينا في هذه المرحلة من البحث معرفة البنية البيولوجية لمبادئ النّحو العالمي، معرفة كلية، واضحة وعميقة؛ وذلك أنّه يمكن لهذه البنية البيولوجية أن تكون نتيجة لنظام بيولوجي أكثر عمقا وتعقيدا ممّا نظنّ..."[30]

وهناك مصطلح عبّر به العلماء عن نفس المفهوم (النّحو الكلّي)، وهو الكلّيات اللّغوية التي تعدّ أطرا هيكلية لبناء القوانين التي تخضع لها قواعد اللّغات عامّة، وتتضمّن الشّروط التي يجب توافرها لصياغة قواعد اللّغات.[31]

كان لنظرية"تشومسكي" تأثير كبير في مجال اللّسانيات ولكنه تعرّض للنّقد كذلك، ومن الانتقادات المتكررة "لتشومسكي" بخصوص التّنوّع في نظرية النّحو التّوليدي هي أنها بالأصل أوروبية أو أنجلو ساسكونية المركز، فقد كان عمل علماء اللّسانيات في مجال النّحو الكلّي مبنيا على أساس عيّنة صغيرة من اللّغات وأحياناً قد تكون واحدة.[32]

4. خاتمة:

ما نصبوا إليه في هذا العمل، وما نتوقّع من نتائج ملموسة إيجابية تمسّ النّحو الكلّي وعائداته المفيدة لحوسبة أي لغة طبيعية يتكلّمها البشر –بل حوسبة القواعد المشتركة بين كلّ اللّغات–، وهذا لا يتسنّى لنا إلاّ بالمعرفة الدّقيقة للعلاقة الرّابطة بين اللّغة والذّهن.

إنّ المعرفة الدّقيقة لجوهر العلاقة الرّابطة بين قواعد كلّية للّغات الطّبيعية والعمليات الذّهنية هي التي ستجيب عن هذه التّساؤلات المطروحة في البحث، وبالموازاة يجب تضافر جهود علماء من تخصّصات متعدّدة كعلم الأعصاب وعلم اللّغة وعلم الحاسوب...، لأنّ الفائدة من معرفة حقيقة القواعد الكلّية للّغات هي التمكّن من حوسبة أي لغة ممّا يسهّل علينا الكثير من مجالات الحياة، ومن تطوير عمل الحاسوب في حدّ ذاته، بما أنّه صُنِعَ محاكاة لذهن البشر.

إنّ مفهوم النّحو الكلّي هو آخر ما سعت إليه النّظريات اللّسانية الحديثة، وهو مربوط بشكل كبير بالملكة اللّغوية التي تنبني على نظام منطقي يعبّر عنه بدقّة، وهذا ما سهّل على علماء الحاسوب

صناعة أجهزة الحاسوب التي تحاكي عمل الذّهن البشري، إلاّ أنّها تفوقها في سعة التّخزين وسرعة الأداء.

لو لم يكن الذّهن البشري مبني على نظام منطقي خوارزمي يساعد على بناء أي برنامج، لما وصل العلم إلى ما وصل من تكنولوجيا متقدّمة، فقط كان النّقل من قواعد لغوية طبيعية إلى قواعد لغوية اصطناعية عن طريق برمجتها وتحويلها للغة الآلة، هذا في حالة حوسبة لغة معينة لأيّ ظاهرة من الظّواهر اللّغوية في مختلف المستويات، لكن النّحو الكلّي ذهب إلى أبعد من ذلك، وهو بلوغ حوسبة القواعد الكلية الكامنة في الذّهن البشري الصّالحة لتعلّم أي لغة.

5. هوامش البحث:

1-ينظر:خشان خشان (2014م)، حديقة مصطفي حركات، الرّياضيات وعلوم اللّسان، http://www.arood.com/vb/archive/index.php/t-6199.html، 14-06-2014م.

2- ينظر المرجع نفسه.

3- نقلا عن شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللّسانية الحديثة، التّنظير، المنهج والإجراء، دط، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 72، ينظر: Lepschy, La linguistique structurelle, petite bibliothèque, payot, paris, 1976, p: 179 et 203.

4- رشيدة العلوي كمال، النّحو التّوليدي، بعض الأسس النّظرية والمنهجية،ط1، دار الأمان، الرّباط، المغرب، 2014م، ص: 37.

5- نقلا عن المرجع نفسه، ينظر: Desclés Jean-Pierre & Ismail Biskri, Logique combinatoire applicative. Mathématique et science humaines, tome 132, p: 39,68.

6- ينظر: أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ط5، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2015م، ص: 215، وينظر: تواتي بن التّواتي، المدارس اللّسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دط، دار الوعي للنّشر والتّوزيع، الجزائر: 2008م، ص: 52.

7- ينظر أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ص: 215.

8- N.chomsky, Structure syntaxique, traduit par: Jean Claude-Milner, édition du Seuil, Paris, 1971, p: 2.

9- ينظر: شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللّسانية الحديثة، التّنظير، المنهج والإجراء، ص: 54.

10- ينظر:أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ص: 220.

11- نقلا عن المرجع نفسه، ص: 220، 220، ينظر: Lyons, j. Chomsky, London: Pengui, 1970, p: 57, 58

12- نقلا عن أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ص: 221، ينظر: N.Chomsky, Syntactic Structures, the hague: Mouton, 1957, p: 26.

13- المرجع السّابق، ص: 27.

14- المرجع نفسه، ص: 27.

15- ينظر:أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ص: 223.

16- ينظر: المرجع نفسه، ص: 223.

17- ينظر: المرجع نفسه، ص: من 223 إلى 227، .

18- ينظر: المرجع نفسه، ص: من 223 إلى 227 .

19- شفيقة العلوي، ص: 62.

20- المرجع نفسه، ص: 62.

21- https://saeedalqumairi.wordpress.com/2017/11/19

22-https://saeedalqumairi.wordpress.com/2017/11/19

23-les neurosciences.

24- voir : Siouffi Gille, Raemdonck Dan Van, 100 fiches pour comprendre la linguistique, édition Bréal, Paris, France, 1999, p : 62.

[25]- - يمكن ترجمتها بالبيان اللّفظي، لكنّها ترجمة أدبية، ويجب أن يكون المقابل الأجنبي مصطلح واحد، كما يمكن ترجمته بالتّلفّظ والتّلفّظية لأنّها ترجمة للمصطلح الأجنبي (énonciation) وهو مصطلح مرادف ل (énoncé)، ونشرحها في نقطتين أساسيتين:

1- هي معطيات لسانية مكوّنة من تتابع منتهي من وحدات السّلسلة الكلامية، تحدّد بمرحلتين من الصمت؛

2- هي كل إنتاج لغوي يُعتَبَرُ نتيجة للتلفّظ، ينظر:

http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/%C3%A9nonc%C3%A9/29692 وللاستزادة، ينظر:

Mounin George, Dictionnaire de la linguistique, Puf, France,4e édition Quadrige, 2006, p : 125.

[26]-وتعني المقابل الأجنبي (Contrôle moteur).

27-voir : Siouffi Gille, Raemdonck Dan Van, 100 fiches pour comprendre la linguistique, p : 62.

28- ينظر:أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ص: 283، 284.

29- أحمد خليل عمايرة، في نحو اللّغة وتراكيبها -منهج وتطبيق- عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984م، ص: 55.

[30]- مازن الوعر، حول الأسس البيولوجية للطّاقات اللّغوية ضمن كتاب في اللّسانيات واللّسانيات العربية تحت إشراف إدريس السغروشوني وعبد القادر الفاسي الفهري، جمعية الفلسفة بالمغرب، 1988م، ص: 172.

https://saeedalqumairi.wordpress.com/2017/11/19 -31

32- https://saeedalqumairi.wordpress.com/2017/11/19

6. قائمة المراجع:

المؤلّفات باللّغة العربية:

1- أحمد مومن، اللّسانيات: النّشأة والتّطوّر، ط5، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2015م)، ص: 215.

2- أحمد خليل عمايرة، في نحو اللّغة وتراكيبها -منهج وتطبيق- (عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984م)، ص: 55.

3- رشيدة العلوي كمال، النّحو التّوليدي، بعض الأسس النّظرية والمنهجية،(دار الأمان، الرّباط، المغرب، 2014م)، ص: 37.

4- شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللّسانية الحديثة، التّنظير، المنهج والإجراء، (الجزائر، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، 2013م)، ص: 72.

5- تواتي بن التّواتي، المدارس اللّسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، (دار الوعي للنّشر والتّوزيع، الجزائر: 2008م)، ص: 52.

- مازن الوعر، حول الأسس البيولوجية للطّاقات اللّغوية ضمن كتاب في اللّسانيات واللّسانيات العربية تحت إشراف إدريس السغروشوني وعبد القادر الفاسي الفهري، (جمعية الفلسفة بالمغرب، 1988م)، ص: 172.

المؤلّفات باللّغة الفرنسية:

1-Desclés Jean-Pierre & Ismail Biskri, Logique combinatoire applicative. Mathématique et science humaines, p: 39,68.

2-Lepschy, La linguistique structurelle, petite bibliothèque, (payot, paris, 1976), p: 179 et 203.

3- Mounin George, Dictionnaire de la linguistique, Puf, France,4e édition Quadrige, 2006, p : 125.

4- Siouffi Gille, Raemdonck Dan Van, 100 fiches pour comprendre la linguistique, (édition Bréal, Paris, France, 1999,) p : 62.

المؤلّفات باللّغة الإنجليزية:

1- Lyons, j. Chomsky, (London: Pengui, 1970), p: 57, 58

2- N.chomsky, Structure syntaxique, traduit par: Jean Claude-Milner, (édition du Seuil, Paris, 1971), p: 2.

3- N.Chomsky, Syntactic Structures, (the hague: Mouton, 1957), p: 26.

مواقع الأنترنيت:

1- خشان خشان (2014م)، حديقة مصطفي حركات، الرّياضيات وعلوم اللّسان، http://www.arood.com/vb/archive/index.php/t-6199.html-14-06-2014م.

2- http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/%C3%A9nonc%C3%A9/29692

3- https://saeedalqumairi.wordpress.com/2017/11/19

4- https://saeedalqumairi.wordpress.com/2017/11/1933